لا من المصلحين وربما كان أتباعه قد استعدوا لنهضة عملية . أما المصريون فقد ظهر فيهم شيء قليل من بوادر الاستعداد للاصلاح المعنوي والمادي ويرجى نموّه ببقاء الحرية ودوامها .

كما مضت سنة الله تعالى في جعل الاصلاح البشري والاسعاد الكسبي على قدر الاستعداد جرت سنته كذلك في التكوين والايجاد فانه قدّر لكل مكوّن من المكونات اجلا محدوداً يستعد فيه للظهور بشكل من الاشكال او صورة من الصور « وكل شيء عنده بمقدار » فاذا جاء الاجل الموعود ، ظهر بذلك الشكل في الوجود ، وذلك من كمال النظام والحكمة « وخلق كلّ شيء فقدّره تقديراً » نعم انه قدره بالتدريج في ازمنة متعاقبة عبر عنها بالأيام «الذي خلق السموات والارضَ وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرشِ الرحمنُ فاسألْ به خبيراً »

﴿ باب العقائد من الامالي الدينية ﴾

(تتمة الدرس (٣٠) من وظائف الرسل عليهم السلام)

المسئلة (٧٣) الوظيفة الخامسة — حدود العقوبات واحكام المعاملات :

خلق الانسان ضعيفاً وارتقى بالتدريج ولما تألفت المجتمعات من البيوت والشعوب والقبائل احتاجت للوازع والمسيطر الذي يمنع ما يولده التنازع في المصالح والمنافع الاجتماعية من البغي والعدوان ويؤدب الذين تطغى بهم الشهوات فيجنون على انفسهم وعلى الناس . ولذلك اتخذ الناس القضاة والحكام من رؤساء الدين والدنيا ولكن الحاكم والامير اذا لجأ الى رأيه واتبع هواه في حكمه يضل عن سبيل الحق والعدل فلا تقوم مصلحة الناس

بحكمه وهذه قاعدة طبيعية ثابتة وأقوى أدلتها ظلم رؤساء البيوت لنسائهم على ما بينهم من المودة والرحمة وظلمهم لاولادهم على ما فطروا عليه من الشفقة والحنان عليهم . فمن ثم كان الناس محتاجين الى من يضع لهم احكاماً عادلة ويحدُّ لهم حدوداً مؤدّبة يستوي فيها الناس ، وتوزن حقوقهم منها بالقسطاس ، فكان كل نبيّ يرشد أمته بالوحي الى ما يراها محتاجة اليه من ذلك ويقرها على ما يراها محسنة فيه وأكثر اختلاف الشرائع والاديان فى هذه الوظيفة

م (٧٤) ليس من وظائف النبيين بيان طرق الكسب واسباب المعايش ولا تعليم الفنون التي يتوسل بها الى السعة والثروة كالرياضيات والطبيعيات والزراعة والصناعة لان هذه الامور مما يصل اليها البشر بسعيهم وكسبهم بحسب السنن الالهية التي أقام الله بها نظام هذا النوع . وقد اشار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذلك فى مسئلة تأبير النخل بقوله « انتم اعلم بأمور دنياكم »

اذا جاء فى كتب الوحي ذكر السموات وكواكبها والارض وعوالمها فانما يجيء على سبيل الاستدلال على قدرة خالقها ومبدعها وحكمته والتذكير بفضله ونعمته لا على سبيل بيان حقائقها فى انفسها وشرح وجوه الانتفاع بها على ان هذا الاستدلال والتذكير مما ينبّه الناس الى التوسع فى العلم بهذه المخلوقات وطرق الانتفاع بها وان لم يكن مقصوداً لذاته

(الدرس ٣١ فى شبهات على الوظائف واجوبتها)

م (٧٥) شبهة على الوظيفة الاولى — يقول قوم ان الاديان التى تنتسب الى الوحي السماوي ثلاثة ونراها لم تتفق فيما يجب اعتقاده فى الله تعالى

فبعضها يصفه بصفات البشر حتى نقائصها كالتعب والندم والجهل والبكاء والخوف والتأسف ومصارعة البشر وتسلط الشيطان عليه بالاغراء والتهييج كتهييجه اياه على ايوب لابتلاعه وكالحلول فى البشر واحتمال اللعن والقتل باختياره ونحو ذلك مما لا يرضى به المرتقون فى الوثنية فضلا عن الموحدين . وبعضها يوجب له التنزيه المطلق والوحدة الحقيقية والمباينة للمكنات ثم يثبت له مع ذلك وجهاً وعيناً وسمعاً وبصراً ويداً وجهة مما يحتمل التأويل ويشهد لتلك الكتب التى وصفته بما لا يحتمل التأويل مما أشير اليه آنفاً . ولما كان الدليل على صحة كتب هذه الاديان واحداً وهو وقوع الآيات الكونية وخوارق العادات على ايدي الذين جاؤا بها يصح لنا أن نقول انها تعارضت ولا شيء يرجح احدها على الآخر فوجب تركها واهمالها كلها

وانا نجيب عن هذه الشبهة بعد تمهيد فى اثبات الدين بخوارق العادات . وهو انه تقدم فى الدرس ٢٩ (ص ٣٧٨ م ٤) ان الآيات الكونية التى يسميها المسلمون معجزات ويسميها النصارى عجائب لا تدل على صحة ماجاء به الوحي دلالة برهانية وانما تؤثر فى بعض النفوس فتجذبها الى تصديق من ظهرت على ايديهم فى كل ما يقولون . ولكن المسلمين والنصارى متفقون على ان الآيات لا تعتبر تأييداً من الله تعالى لمن ظهرت على يديه الا اذا كان يدعو الى الحق ويأمر بالخير فالاعتراف بأنها تأييد الهي يتوقف اذن على معرفة حقيقة الدعوة ووزنها بميزان العقل الذي به التمييز بين الحق والباطل والخير والشر .

فني الباب الثالث عشر من التثنية :« ١ اذا قام فى وسطك نبيٌّ او حالم حلماً وأعطاك آية او أعجوبة ٢ ولو حدثت الآية او الاعجوبة التى كلمك عنها

قائلا لنذهب وراء آلهة اخرى لم تعرفها ونعبدها ٣ فلا تسمع لكلام ذلك النبي او الحالم ذلك الحلم لان الرب آلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب الهكم من كل قلوبكم ومن كل انفسكم » وهذا عن لسان موسى كما لا يخفى وفي الباب السابع من انجيل متى : « كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك اخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ فحينئذ أصرح لهم اني لم اعرفكم قط اذهبوا عني يافاعلي الاثم » وفي الباب ٢٤ منه : « لانه سيقوم مسحاء كذبة وانبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين ايضاً » وهذا عن لسان المسيح

اذاً لا بد من معرفة الحق بذاته فاذا وجدنا نصوص الوحي متعارضة أو وجدنا فيها ما يحكم العقل ببطلانه فعلينا أولاً ان ننظر في طريق نقلها فان كان المخالف منها للعقل او سائر النصوص غير متواتر نحكم ببطلانه وعدم صلاحيته لمعارضة العقل او النص المتواتر ونسلم بالقطعي الذي يخالفه وان كان النصان اللذان يخالف احدهما الآخر أو العقل متواترين فلا بد من الجمع بينهما بالتأويل فان لم يمكن التأويل فرضاً فالعقل يُعذر اذا هو رفضهما معاً . ولكن هذا الفرض لم يقع اذ لم يوجد نصٌّ في القرآن يخالف العقل خلافاً لا يحتمل التأويل . ولا يثبت الآن كتاب سماوي بالتواتر اللفظي الحقيقي غير القرآن . وما يعد متواتراً من سائر الكتب فانما تواتره معنوي اي انه متواتر في جملته لا في تفصيله فلا يحتج بكل كلمة وكل عبارة منه يوجد فيما حفظ من التوراة والانجيل واودع في أطواء هذه الكتب المعروفة ما يدل على تنزيه الله تعالى على نحو ما يوجد في القرآن فاذا وجد

فيها ايضاً ما ينافي التنزيه يجب تأويله اذا كان منقولاً عن لسان نبي كموسى وعيسى عليهما السلام وعدم الاعتداد به ان لم يكن كذلك فان لم يمكن تأويله يحكم بعدم صحة اسناده الى النبي الذي نسب اليه وبهذا تتفق الكتب في اصل الاعتقاد بالله تعالى . اما بيان الآيات القرآنية التي تثبت لله تعالى وجهاً وعيناً ويداً فقد تقدم في الدرس السابع عدم منافاتها للآيات المحكمة الناطقة بالتنزيه (راجع ص ٦٠٣م٢) ويتعذر تأويل كثير مما نسب الى الله تعالى في كتب العهدين وتقدمت الاشارة الى شيء منه آنفاً (يتصل الكلام)

﴿ المحاورة الثانية عشرة بين المصلح والمقلد ﴾

« نهي الامام الشافعي واصحابه عن التقليد »

لما ضم الشاب المصلح والشيخ المقلد المجلس ١٢ ابتدأ الثاني الكلام فقال

(المقلد) : قد قلت لي مرة انك مطلع على نقول كثيرة عن الشافعي واتباعه فارجو ان تكتفي بالمهم منها

(المصلح) : نعم ان ما ورد على الامام الشافعي والائمة المنتسبين اليه في العلم والاجتهاد في اتباع الدليل وعدم جواز الاخذ بقول احد من غير معرفة دليله كثير جداً فمنه مافي كتاب الام وهو موجود بين ايديكم في دار الكتب المحمدية وهو قول الامام بمناسبة كلام : « وهذا يدل على انه ليس لاحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول الا بالاستدلال » وروى الحافظ البيهقي بسنده الى الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي وقد سأله رجل عن مسئلة فقال يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كذا وكذا (فقال له السائل) يا أبا عبد الله أتقول بهذا فارتعد الشافعي